بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار في القرآن الكريم

The Eloquence of the Interrogative Style in the Verses of Heaven and Hell in the Noble Qur'an

د. مهند حسن حمد الجبالي: أستاذ مساعد، جامعة عجلون الوطنية، الأردن

Dr. MUHANNAD HASAN HAMAD ALJABALI: Assistant Professor, Ajloun National University, Jordan

الملخص:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن استعمال الجمل الطلبيَّة في آيات الجنَّة، والنَّار، وخاصة بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم، وإبراز الجوانب الفكريَّة، والجماليَّة لآيات الجنَّة، والنَّار في القرآن الكريم، والكشف عن أهميّة بلاغة أسلوب الاستفهام في تصوير مشاهد الجنَّة والنَّار. ولتحقيق ذلك اعتمد الباحث على المنهج الوصفي في هذه الدراسة، وتوصل الباحث إلى أن القرآن الكريم قد استخدم أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة، والنَّار لتحقيق أغراضٍ بلاغيَّةٍ جليلةٍ، كان من أهمِّها غرض الإنكار، والتفخيم، والترغيب، والتشويق، والتقرير التي تضافرت جميعها لتشكِّل صورةً تعبيريَّةً لمضامين القرآن الكريم المتمثِّلة في قاعدة تقوم على منهج الترغيب، والترهيب الذي يحقِّق الجزاء الأوفى للمؤمنين، والكفَّار، ويبيِّن هيئتهم وحالهم، ونعيمهم، وعذابهم في الجنَّة، والنَّار الخالدتين.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، أسلوب الاستفهام، الجنَّة، النَّار

ABSTRACT:

This study aimed to reveal the use of interrogatives in the verses of Heaven and Hell, especially the eloquence of the interrogative style in these verses in the Noble Qur'an. The study also highlighted the intellectual and aesthetic aspects/values of the verses of Heaven and Hell in the Noble Qur'an as well as the importance of the eloquence of the interrogative style in depicting the scenes of Heaven and Hell. To achieve this, the researcher relied on the descriptive approach. The researcher concluded that the Noble Qur'an used the interrogative style in the verses of Heaven and Hell to achieve great honourable rhetorical purposes. The most important of them were denial, exaltation, encouragement, suspense, and confirmation; all of which combined to form an expressive portrait of the contents of the Noble Qur'an represented in a rule based on encouragement and intimidation that achieves the fullest reward for the believers and disbelievers, and shows their appearance, condition, bliss and torment in the eternal Hell and Heaven.

Keywords: The Noble Qur'an, interrogative style, Heaven, Hell

المقدمة:

إنَّ القرآن الكريم يبقى المعين الذي يستقي منه اللغويون والأدباء أفكارهم، وأساليبهم باعتباره المصدر الرئيس للغة العربيَّة على مرِّ الأزمان، ولا يزال الباحثون يجدُّون، ويبذلون قصارى جهدهم في معرفة أسرار لغته، وعظيم بيانه ومن هذا المنطلق يوجِّه اللغويون أقلامهم تجاه هذا الكتاب العزيز، يفسِّرونه، ويقعِّدون من خلاله القواعد، ويرسون الأسس على المستويات اللغويَّة كافةً ((الصوتيَّة، والصرفيَّة، والتركيبيَّة، والدلاليَّة))، ومهما حاول الباحث جاهداً الكشف عن جوانب جديدة من الإعجاز اللغوي، والبلاغي للقرآن الكريم، في نصٍّ قرآني ما فلن يفي هذا النص حقَّه من البحث، والدراسة؛ لأنَّه النص الذي تعهَّد الله –سبحانه وتعالى– بحفظه إلى يوم الدين.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الجنَّة المقصود دراستها في هذه الدراسة هي جنَّة الخلد الباقية في الآخرة، وليس جنَّة الدُّنيا، وكذلك نار الآخرة، وليست نار الدُّنيا؛ ذلك لأنَّ القرآن الكريم خاطب العرب بما تعارفوه في بيئاتهم المختلفة، ولهذا تعد جنَّة، ونار الآخرة الجامعتان لكلِّ الصور، والأوصاف لجنَّة ونار الدُّنيا؛ لأنَّه ليس في جنَّة الخلد، ونار الآخرة من جنَّة الدُّنيا، ونار الدُّنيا إلاَّ الأسماء المألوفة لنا. إضافة إلى أنَّ الجنَّة المدروسة ليست الجنَّة التي أُسكنها آدم وزوجته عليهما السلام؛ لإيماننا بأنَّها ليست جنَّة الخلد، فليس في الجنَّة منع، ومعصية، وخروج.

مشكلة الدراسة:

من خلال دراسة موضوع بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم، وكتب التفسير، والإعجاز البياني استنتجت أهميَّة هذا الموضوع، من حيث إنَّه يتناول موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم، وهو بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار، ثم يبيِّن أثر الدراسات اللغويَّة، والبلاغيَّة في الكشف عن أسلوب القرآن الكريم البديع في تقديم المعنى، والتأثير في السامع، فتبيِّن لي أنَّه يستحق الدراسة والبحث بسب ندرة الدراسات التي تحدثت عن موضوع الدراسة، بالإضافة إلى علاقتي الحميمة بالدراسات القرآنيَّة الكريمة، وعلم النحو، ممَّا زاد في تمسُّكي بهذا الموضوع، فموضوع الدراسة منصبٌّ على آيات الجنَّة والنَّار من خلال بلاغة أسلوب الاستفهام.

أهداف الدراسة:

- الكشف عن استعمال الجمل الطلبيَّة في آيات الجنَّة، والنَّار، وخاصة بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم.
- إبراز الجوانب الفكريَّة، والجماليَّة لآيات الجنَّة، والنَّار في القرآن الكريم، والكشف عن أهميّة بلاغة أسلوب الاستفهام في تصوير مشاهد الجنَّة والنَّار الخالدتين، بما يحتويه من مزايا بلاغيّة، وسمات لغويّة، ودلالات معنويّة مع ملاحظة التباين بين التعبيرين.

أهمية الدراسة:

جاءت رغبة الباحث ي دراسة هذا الموضوع لجِدَّتِه من ناحية؛ ولأهميَّته من ناحية أخرى. أمَّا جِدَّتِه ؛ لأن الباحث لم يقف على دراسة شاملة وشافيَّة في هذا المجال على الرغم من أهميَّته، إذ إنَّ ما قيل، وكتب لا يعدو أكثر من آراء متناثرة ومتفرِّقة، وهوامش في بطون كتب التفسير، ومؤلفات اللغة، والبلاغة تتصل بموضوع البحث، وهذه الآراء المتفرِّقة، والمتناثرة تحتاج حقَّاً إلى الجمع، والتبويب؛ لذلك جاءت مهمة الباحث لجمع المتفرِّق، والمتناثر، وتكميل الناقص، وتفصيل المجمل، وترتيب المختلط، وإظهاره كدراسة موضوعيَّة مستقلة، يستفيد منها طلاب العلم، وتشغل مكانها في المكتبة العربيَّة، والقرآنيَّة الكريمة الذي لا يزال بعد بحاجة إلى سدِّ الفراغ الخاص بها.

أمَّا أهميته، فيعدُّ مثالاً حيَّاً، وشاهداً كبيراً لقيمة درس بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة، والنَّار في القرآن الكريم دراسةً بلاغية، ولعلَّ أكثر ما استهواني لدراسة هذا الموضوع، أنِّي لم أقف فيه، – في حدود اطلاع الباحث – على دراسة مستقلة، أو رسالة جامعيَّة تجمع شتاته، وتبِّوب مسائله، وتجلي غامضه، إلاَّ اليسير منها.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفيَّ، كدراسةً تطبيقيَّة في النظم الأسلوبي لبلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم. علما أنَّ المنهجيَّة التي تناولها الباحث في معالجة موضوع بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار منهجيَّة جديدة في الدرس من حيث إنَّها تدرس بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار من دون الاقتصار على الجزء، أو السورة التي جاءت فيها مع مراعاة الوحدة الموضوعيَّة للسورة، والجوّ الفكري والنفسي لهما.

تهميد حول بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار في القرآن الكريم[1]:

يقسم الكلام في العربية إلى جملة خبريَّة وإنشائيَّة، فالجملة الخبريَّة ما تحتمل الصدق أو الكذب، فصدقها مدى مطابقتها للواقع، وكذبها عدم مطابقتها للواقع، ويشير القزويني إلى ذلك بالقول: "ووجه

[1] للتعرُّف على أغراض الاستفهام الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه ناشره، محمد رشيد رضا، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ط6، 1380هـ–1960م. ص86. والزركشي، البرهان في علوم القرآن الكريم، خرَّج حديثه وقدَّم له وعلَّق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ط1، 1408هـ–1988م، ج2، ص351. وكذلك فودة عبد العليم السيِّد، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، مؤسسة دار الشعب، القاهرة. ص191–302.

الحصر أنَّ الكلام إمَّا خبر أو إنشاء؛ لأنَّه إمَّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أولا يكون لها خارج، الأوَّل: الخبر والثاني: الإنشاء"[1].

وسنبحث هنا مفهوم الإنشاء لغة واصطلاحاً.

فالإنشاء لغة: هو (الابتداء أو الخلق أو الابتداع)[2].

أمَّا اصطلاحاً: فهو كلُّ كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته؛ لأنَّه "نابع من الشعور والإحساس الداخلي للإنسان، ويعتمد على دفقات شعوريَّة لا يمكن تكذيبها، وقد علَّل البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء كونه يدلُّ على حدث لم يقع من قبل وفرَّقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك"[3]، وتنقسم الجملة الإنشائيَّة إلى قسمين اثنين:

أوَّلهما: الإنشاء الطلبي: وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالاستفهام والأمر والنهي، والنداء، والتمنيّ.

ثانيهما: الإنشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً ويكون بالقسم (بأحرفه المتنوعة)، والتعجب وصيغ المدح والذم[4]، (نعم، حبذا، بئس، لا حبذا)، والرجاء (عسى)، وسيتركز الحديث في هذا المبحث على الإنشاء الطلبي، وبعض الأساليب الإنشائيَّة الموجودة في آيات الجنَّة والنَّار، ومن أهمِّها بلاغة أسلوب الاستفهام.

جاء في لسان العرب على أنَّ: "الفهم: معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء عقلته وعرفته، ...، وأفهمه الأمر وفهمَّه إياه جعله يفهمه واستفهمه، سأله أن يفهِّمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمَّته تفهيماً"[5].

إذ يُعدُّ الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار أسلوباً تعبيرياً رائعاً، وظاهرة أسلوبيَّة تقوم على خصائص لغويَّة يميل إليها الاستفهام، من أجل إفادة أغراض بلاغيَّة أخرى غير المعنى الحقيقي الذي وضع له وهو طلب الفهم، ومعرفة المجهول[6]، وفي إيراد هذه المعاني بأسلوب الاستفهام تشويق، وإثارة

---

(1) القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، دار الجيل للطبع والنشر والتوزي، 1997م، ص151.

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نشأ)، مجلد 1، دار الفكر بيروت، دار صادر، بيروت، لبنان. ص170-173.

(3) صبح، خلدون، البلاغة في التفسير القرآني الأندلسي في القرنين السابع والثامن،2001، ص323.

(4) القزويني، شرح التلخيص في علوم البلاغة، ص81.

(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فهم)، مجلد 12، ص459.

(6) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص17، بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن الكريم، ص163، دار الفكر، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م.

للتفكير، للاهتداء إلى معرفة وجه الصواب"[1]، وأوّل هذه الأغراض البلاغيَّة المتحقِّقة في آيات الجنَّة والنَّار هو:

1- الاستفهام المتضمن معنى الإنكار:

إنَّ الإنكار غرض بلاغي رئيس تطرَّق إليه شيخ البلاغة بالقول: "وأعلم أنا وإن كنا نفسِّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإنَّ الذي هو محض المعنى أنَّه ليتنَّبه السامع حتَّى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعي بالجواب"[2]، علماً أنَّ الإنكار مفهوم عام تنطوي تحته دلالات جزئيَّة أخرى كالتعجب، والتوبيخ، والتيئيس، وغيرها.

ومن آيات الجنَّة الموحية بالإنكار قوله تبارك وتعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾[الرحمن: 60]، وردت هذه الآية القرآنيَّة الكريمة تعقيباً على بيان نعيم الجنتين الموعودتين للمتقين، وقد أتت الآية القرآنيَّة الكريمة مستنجدة بأسلوب الاستفهام للتدليل على المعنى المنشود، ومن البديهي المألوف للجميع أنَّ من يعمل عملاً يجز الجزاء المطابق مع جنس هذا العمل، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شرَّاً فشرَّاً، وعليه فقد خرج أسلوب الاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة عن معناه الأصلي المتضمِّن طلب العلم إلى غرض بلاغي لطيف يكمن في إنكار أن يكون جزاء العمل الصالح غير جنسه؛ والتقدير أنَّ القائم بعمل الإحسان يجازى بالإحسان، ويضاف إلى غرض الإنكار بوصفه غرضاً رئيساً معنى النفي. وذلك: "إذ صح حلول أداة النفي محل أداة الاستفهام، والمعنى ما جزاء الإحسان في العمل إلاَّ الإحسان في الثواب والجزاء، وتلك حقيقة مقرَّرة لا يعارض فيها عاقل، فكان من الممكن إفادتها بطريق "النفي" أي "ما جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان" ولكنَّ القرآن الكريم عرضها في أسلوب الاستفهام ليحرِّك الفكر، ويحثُّ على النظر؛ ليصل المرء إلى الإيمان بطريق البحث، والتفكير، وهذه من وسائل القرآن في الدعوة إلى العلم، والتعلُّم"[3]، وعليه فالتقدير ما جزاء الإحسان إلاَّ الإحسان حيث يكمن في هذا التركيب اللغوي أسلوباً من أساليب القصر (ما + إلاَّ)، وهذا ما يؤكِّد المراد، ويشير إليه، ويثبِّت المعنى، بل يرسخِّه في عقل السامع الذي قد يخال في الدُّنيا الفانية غير ذلك، ونتيجة لمواقف بشريَّة قد مرت عليه؛ هلهلت هذا الحكم عنده، والسياق اللغوي الذي تقوم عليه جملة الاستفهام هو: هل (حرف استفهام + جزاء الإحسان (مبتدأ + مضاف ومضاف إليه) إلاَّ (استثناء مفرَّغ) + الإحسان (خبر).

---

[1] بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجَّالة، القاهرة. ص165.

[2] الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص90.

[3] عرفه عبد العزيز عبد المطعني، بلاغة النظم العربي دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني، دار عالم الكتب، مصر، ط2، 1406هـ- 1984م، ص124-125.

لذا؛ (فلفظ الاستفهام (هل) في الآية القرآنيَّة الكريمة لم يرد لطلب العلم بشيء كان مجهولاً وإنما ورد مقصوداً به النفي)[1].

ومن السياقات الاستفهاميَّة الدالة على معنى الإنكار ما ورد في حوار أهل الجنَّة مع أهل النَّار حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ، يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ، أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾[الصافات: 50–53].

تمثِّل هذه الآيات القرآنيَّة الكريمة جانباً من مشهد حواري يدور على لسان أحد المؤمنين في الجنَّة مع قرينه الكافر في النَّار، ويستنجد هذا المشهد الحواري بأسلوب الاستفهام القائم على الإنكار، فالقرين الكافر ينكر على صديقه إيمانه، وتصديقه باليوم الآخر، ويستغرب من ذلك الأمر، متعذِّراً بقضيَّة الموت التي يصير الإنسان بعدها عظاماً فتراباً، وعليه بنى الكافر الإنكار الثاني المتمثِّل في الحساب (أإنا لمدينون)، ومن الملاحظ أنَّ الآيات القرآنيَّة الكريمة تبرز الدلالات البلاغيَّة الآتية:

1. ورد أسلوب الاستفهام متواشجاً مع الحوار ممَّا يرسِّخ لوحة المشهد لدى السامع.
2. خرج أسلوب الاستفهام لإفادة غرض الإنكار الممزوج بالتعجب، ويكمن ذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ**﴾.
3. يرتبط الاستفهام الإنكاري مع غرض السخرية والتهكُّم، والازدراء في استحالة الحساب، ويوحي بهذا قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾.
4. يزيد من شدَّة الإنكار والتعجب التوكيد بـ(إن + اللام) الذي يشحن الموقف بدرجة عالية من التوتر، والاضطراب، وهذا ما ينعكس على نفسيَّة السامع للخبر.

وفي ختام المشهد يردُّ المؤمن على صاحبه إنكاره، بعدما عاشا ماهية المسألة الجدليَّة بينهما، طالباً منه الاعتراف، والإقرار قائلاً له: ﴿**أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ، إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾[الصافات: 58–59]. إذ لا مجال هنا للإنكار فقد كُشِفَ القناع، ويلحظ من هذا التساؤل غرض التوبيخ للكافر، وهذا ممَّا يُحقِّق له الحسرة، والندم المتزايد فوق عذابه الأليم.

ويرد أسلوب الاستفهام المتضمِّن لمعنى الإنكار التوبيخي في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**﴾[المعارج: 38]، فعندما كان الكفَّار ينكرون البعث والنشر والحساب، وما يتبع ذلك من جزاء، فقد أنكروا الجنَّة والنَّار، ولم يثر الوصف في أنفسهم الطمع بدخولها، وقد وصف القرآن الكريم هذا الإنكار في مشهد يتصدَّره الاستفهام (أيطمع).

[1] نحلة، محمود أحمد، في البلاغة العربية، علم المعاني، دار المعرفة الجامعيَّة، القاهرة، 2002م، ص96.

(وهو كلام دال على إنكارهم البعث، فكأنَّه قال: كلا أنَّهم منكرون للبعث والجزاء؛ فمن أين يطمعون في دخول الجنَّة)[1]، حيث ينجم عن هذا الإنكار غرض التيئيس الذي يحقِّقه الاستفهام مع الإنكار، والظاهر على الجملة الاستفهاميَّة أنَّها تقوم على السياق اللغوي الآتي:

أ (همزة الاستفهام) + يطمع (فعل مضارع) + كل امرئ منهم (فاعل مضاف متعلِّق بجار ومجرور) + أنَّ يدخل (مصدر مؤول مفعول به) + جنَّة نعيم (مفعول به مضاف ومضاف إليه).

لذا يلحظ أنَّ الهمزة المؤديَّة معنى الاستفهام أتى بعدها فعل (يطمع)، وعندها يتركَّز معنى الإنكار على الفعل لا الفاعل، ويتطرَّق شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني إلى هذا المعنى بالقول: "وإن أردت بـ(تفعل) المستقبل كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنَّك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنَّه لا يكون، أو أنَّه لا ينبغي أن يكون"[2].

والمقصود بهذا النمط الاستفهامي في أنَّه لا ينبغي أن يطمع أحد منهم في دخول الجنَّة وهم منكرون للبعث، إذ إنَّ دخولها مرتبط بالإيمان، ولعلَّ السرَّ في عدول القرآن الكريم عن إنكار الفاعل (أكل امرئ يطمع) يكمن في أنَّ الفعل المقصود، وهو الطمع غير متحقِّق فمن باب أولى أن يكون أصحاب الفعل داخلين في هذا الإنكار.

وقريب منه قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَاتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ**﴾[سورة ص: 63]. فالتقدير: "أنَّ الطغاة ينكرون على أنفسهم يوم القيامة وهو يعذبون في النَّار سخريتهم في الحياة الدُّنيا بأولئك الذين آمنوا بالله وصدقوا الرسل، وأنَّهم ما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك ومع هذا الإنكار يؤنِّبون أنفسهم على تلك السخرية، ويتحسَّرون على ما فرطوا في جنب أولئك الذين كانوا يُعدُّونهم من الأشرار"[3].

ومنه أيضاً قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾[آل عمران: 106].

---

[1] الزمخشري، الكشَّاف، ج4 رتَّبه وضبطه وصحَّحه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.،ص 601.

[2] الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص88.

[3] اللبدي، عبد الرؤوف، سعيد عبد الغني، همزة الاستفهام في القرآن الكريم، مطابع وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلاميَّة، 1992م، ص19.

فقد أفاد الاستفهام في قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ الإنكار، والتوبيخ، والتعجب؛ وذلك: "إنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم على كفرهم بعد الإيمان، وتعجباً من هذا الكفر، ثم يقال لهم بعد ذلك تهكُّماً وسخريةً وتسخيراً: ذوقوا العذاب جزاء كفركم الذي كفرتموه في دار الدُّنيا"[1].

ومن سياقات الاستفهام المتضمّنة لمعنى الإنكار قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّار إلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: 80].

فقد "أنكر الله عليهم لما صدر منهم من هذه الدعوة الباطلة أنَّها لن تمسسهم النَّار إلاَّ أياماً معدودة"[2].

2. الاستفهام المتضمِّن معنى التمنِّي:

ومن اللطائف البلاغيَّة التي يخرج إليها الاستفهام التمنِّي، إذ (غلبت دلالة هل عليها)[3]، ويتجلَّى ذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجهنَّم هَلْ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**﴾[ق: 30].

فالاستفهام بهل الثانية في الآية القرآنيَّة الكريمة السابقة يفيد معنى التمنِّي، ويقول عبد العليم السيِّد فودة في ذلك: "فهل الثانية تفيد تمنِّي جهنَّم لهذا المزيد من الوقود، وجعلها القرطبي جحداً أي ما بقي من مزيد، قال ويحتمل أن تكون استفهاماً بمعنى الاستزادة"[4].

ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**﴾[الشورى: 44]. وقوله تبارك وتعالى: ﴿**...فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ...**﴾[الأعراف: 53].

فتمني المعذِّبين في الآيتين القرآنيتين الكريمتين السابقتين في العودة إلى الدُّنيا إنَّما: "يعكس حسرة وندماً وألماً نفسيَّاً لا يطاق، والتمنِّي يعين الأسلوب كلّه على تصويره فهم يأتون بالمادة (رد) من الفعل المضعَّف الدال على الرد بقوة وسرعة ولذا لم يعبروا بالفعل نرجع أو نعود استطالة لزمنه

(1) المرجع السابق، ص211.

(2) علوان، محمد شعبان، نعمان شعبان، من بلاغة القرآن الكريم، الدار العربيَّة، للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998م، ص65.

(3) فودة، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص234.

(4) المرجع السابق، ص234.

ثم أنَّ للمعذبين مواقف، ولتمنيهم درجات ذلك أنَّهم حين يرون العذاب وأهواله قبل معاناة ويلاته تكون الرغبة جارفة قويَّة، والأمل حيَّاً حاراً في الهروب، أو العودة إلى الدُّنيا"[1].

فهم "يقيسون أحداث الآخرة على الدُّنيا ولذا أظهروا أملهم المحال في ثوب الممكن وهو الاستفهام تصويراً لسيطرة هذا الأمل على قلوبهم"[2]، ولذلك "فهل في التمنِّي لها دلالة خاصة... التي تصوِّر الأمل مخنوقاً يقذفه اللسان في حال يأس جاثم ثم ينحدر إلى قرار في سراديب أعماق مملوكة القنوط... فهل تصوِّر المحال في صورة الممكن رغبةً نفسيَّة"[3].

ويؤكِّد عبد القادر حسين على ذلك بالقول: "هل أداة استفهام كما هو معلوم، ولكنَّها لم تستعمل في هذه الأمثلة للاستفهام، بل استعملت للتمنِّي، وخرجت عن معناها الحقيقي الذي وضعت له؛ وذلك لأنَّ المطلوب مستحيل، والغرض إبراز المتمنِّي البعيد الحصول، في صورة المستفهم عنه الممكن الحصول، إظهاراً لكمال العناية به، والرغبة فيه"[4].

3. الاستفهام المتضمِّن معنى التقرير:

ومن الأغراض البلاغيَّة التي يخرج إليها الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار التقرير، وهو: (حملك المخاطب على الإقرار، والاعتراف بأمر قد استقر عنده بثبوته أو نفيه، ويجب أن يليها الشيء الذي تقرره به"[5]، وقد تحقَّق هذا الغرض في آيات الجنَّة والنَّار من ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ، فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ، عَنْ الْمُجْرِمِينَ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**﴾[المدَّثر: 39-42].

فالملاحظ في الآيات القرآنيَّة الكريمة السابقة أنَّ هذا التساؤل من قبل المؤمنين عن المجرمين في الآخرة، فالمؤمنون في جنَّات النعيم، والمجرمون في النَّار وبئس المصير، وبهذا فقد علم الجميع الحساب، والمآل، والأسباب المستدعية له، لذا فالاستفهام قد خرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب العلم إلى غرض بلاغي بديع يكشف عن عمق الدلالة، ويُلْمَس من هذه الآية القرآنيَّة الكريمة أنَّها تحقِّق المعاني الآتية:

---

(1) دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، ص267.

(2) الأندلسي، أبو حيَّان، البحر المحيط، ج3، ص113، دراز صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1411هـ-1990م، ص283.

(3) دراز صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1406هـ- 1986م، ص283.

(4) عبد القادر حسين، فن البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص149.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن الكريم، ج2، ص344، بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن الكريم، ص164، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص26.

1- ورد أسلوب الاستفهام على هيئة حوار بين مجموعتين متضادتين، وهذا يوحي بالمباشرة، وعمق التأثير.

2- جاء أسلوب الاستفهام على النظام اللغوي الآتي:

ما (اسم استفهام) + سلككم (فعل وفاعل ومفعول به) + في سقر (المتعلِّق جار ومجرور).

وأتى اسم الاستفهام (ما) مبهماً، زيادة في تهكُّم، وازدراء المؤمنين بهم، وطلباً منهم على الإقرار الكامل، والاعتراف المفصَّل الذي يزيل الاستفهام المبهم.

3- خرج الاستفهام من الإخبار إلى غرض التقرير، وطلب الاعتراف بالجرائم التي ارتكبها المجرمون حتَّى وصلوا إلى هذا المآل البائس، وفي هذا لطيفة أخرى تكمن في التهكُّم بهم، ويؤكِّد الزمخشري ذلك بقوله (فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك؟ قلت: توبيخاً لهم وتحسيراً، وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين"[1].

وكذلك صاحب كتاب الروض الريَّان حيث يقول: "سألوهم توبيخاً لهم، وليقرَّ المجرمون بذنوبهم فيكون ألزم لهم في قيام الحجَّة عليهم"[2].

ومن الآيات القرآنيَّة الكريمة التي يجيء فيها أسلوب الاستفهام لغرض التقرير قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[الأعراف: 44].

فقد جاءت الآية القرآنيَّة الكريمة على شكل حوار بعد أن قضى الله سبحانه وتعالى بين الخلق، وعلم كلٌّ مآله، إذ يدور الحوار بين أهل الجنَّة، وأهل النَّار متشفعاً بأسلوب الاستفهام القائم على النمط اللغوي الآتي:

هل (أداة استفهام) + وجدتم (فعل ماضٍ وفاعل) + ما وعد (اسم موصول وجملة الصلة) + ربكم (فاعل) + حقاً (مصدر نائب عن فعله).

وقد خرج أسلوب الاستفهام من نطاق الاستخبار عن شيء مبهم إلى معنى الإقرار، والاعتراف عن شيء معلوم، أي أدرك الكفَّار مآلهم، وأبصروا ما كذَّبوا به من بعث ونشور وحساب، فسؤال أهل الجنَّة أهل النَّار عن تحقيق وعد الله لهم فيه طلب بالإقرار، والاعتراف من قبلهم بهذا المآل القائم، ويفيد أسلوب الاستفهام مع غرض الإقرار، والاعتراف لطيفة أخرى تكمن في التهكُّم، والازدراء،

---

[1] الزمخشري، الكشَّاف، ج4، ص642.

[2] ابن الريَّان، الروض الريَّان في أسئلة القرآن الكريم، ج2، دراسة وتحقيق عبد الحليم بن محمد نصَّار السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1415هـ- 1994م، ص537.

والشماتة[1] بأهل النَّار والنكاية بهم، وينصُّ صاحب الكشَّاف على ذلك بالقول: (وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطاً بحالهم، وشماتة بأصحاب النَّار، وزيادة في غمهم، لتكون حكايته لطفاً لمن سمعها)[2].

في حين يرى صباح دراز في ذلك: (فهو تقرير وتنديم ولا أظن أنَّ هذا الأسلوب ومثله ممَّا حكى القرآن الكريم من محاورات بين أهل الجنَّة وأهل النَّار يمكن أن يشتم منه الشماتة أو غيرها كما رأى الأستاذ فودة متبعاً الزمخشري، وأبا حيَّان، وأبا السعود ولذا كان الرازي أدق حينما قال الغرض من هذا السؤال أنَّه وصل إلى السعادات الكاملة وإيقاع الحزن في قلب العدو)[3].

فالاية القرآنيَّة الكريمة السابقة تبيِّن مدى السخرية، والتهكُّم الذي يجده أهل النَّار من أهل الجنَّة... وكأنَّ ذلك تعويضاً عمَّا وجده أهل الجنَّة في الحياة الدُّنيا من استصغار، واحتقار من أهل النَّار الذين كانوا في الدُّنيا من الأشراف، والعظماء.

ومنه أيضاً قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جهنَّم مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾[العنكبوت: 68].

فقد أفاد الاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة معنى: (التقرير: على معنى الإخبار بما تضمَّنه السؤال على جهة الإثبات والتوكيد أي أنَّ في جهنَّم لمثوى للكافرين. وأفاد التهديد والوعيد لمن يشرك بالله تبارك وتعالى ولمن يكذِّب رسوله ﷺ وبالقرآن الكريم المنزل عليه من ربِّه، تهديد ووعيد بأنَّهم سوف يكون لهم في نار جهنَّم مستقر دائم لا يبرحونه خالدين فيه أبداً يوم يقوم الحساب)[4].

وقريب منه قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾[الأحقاف: 34].

فقد حقِّق هذا الاستفهام: (التقرير: بمعنى طلب الاعتراف بما تضمَّنه السؤال إمَّا على سبيل الإثبات، وإمَّا على سبيل النفي، وقد أجابوا بالإثبات المؤكَّد فقالوا: بلى والله ربَّنا أنَّه لحق، وجاء هذا الاستفهام مفيداً أيضاً التهكُّم بالكافرين المكذِّبين بالبعث والمعاد، ومفيداً التوبيخ لهم على استهزائهم

---

[1] فودة، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص227.

[2] الزمخشري، الكشَّاف، ج2، ص102.

[3] الزمخشري، الكشَّاف، ج2، ص102. الأندلسي، أبو حيَّان، البحر المحيط، ج4، ص300، أبو السعود، تفسير أبي السعود المسمىَّ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص229. الرازي، التفسير الكبير، ج14، ص83 وما بعدها، دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، ص231-232.

[4] اللبدي، همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص230، فودة، عبد العليم السيِّد، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص222.

في حياتهم الدُّنيا بوعد الله، ووعيده وقولهم منكرين: (وما نحن بمعذبين) وسؤالهم مستهزئين (متى هذا الوعد أنَّ كنتم صادقين)[1].

وقد أشار ابن جني إلى تأثير همزة التقرير، وما تدخله من تفسير في معنى الجملة الداخلة عليها.

حيث يقول: (إنَّها تحوِّل النفي إلى إثبات، والإثبات إلى نفي فإذا دخلت "همزة التقرير" على الموجب نفته، وإذا دخلت على النفي نفته، ونفي النفي عائد به إلى الإثبات)[2].

ويتبعه في ذلك عبد القادر حسين حيث يقول: (فالاستفهام هنا تقرير ويكون الجواب: نعم هو الحق، فيتحوّل النفي إلى إثبات)[3].

ومثله أيضاً قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجهنَّم هَلْ امْتَلاتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**﴾[ق: 30].

يقول عبد العليم السيِّد فودة في ذلك: (وقد يراد بهذا النوع من التقرير المبالغة في التهويل: وذلك في سؤال التمثيل حيث يُوجِّه إلى ما لا يعقل... قرَّرها لتجيب بما أجابت به تخويفاً للكافرين، وبعثاً للرهبة في نفوسهم)[4].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**هَلْ ثُوِّبَ الْكفَّار مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[المطفِّفين: 36]، فقد بدأت هذه الآية القرآنيَّة الكريمة باستفهام لم يأتِ على المعنى الحقيقي للاستفهام. وإنما خرج إلى معنى آخر.

(فهذا الاستفهام تقريري توبيخي، أي أثيب، وجوزي الكفَّار ما كانوا في الدُّنيا يفعلون بالمؤمنين من السخرية بهم، ولكنَّ أي ثواب؟ أنَّه نار الجحيم، وسُمِّي بالثواب للتهكُّم، والاستهزاء بهم؛ لأنَّ الثواب يكون جزاءً للطاعة. وشبيه ذلك ما جاء في القرآن الكريم ﴿**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[آل عمران: 21]. والبشرى تكون للخبر السار لا للعذاب)[5].

ويشير صاحب كتاب البلاغة القيمة إليها بالقول: ("ثوِّب" أثيب، أي هل جوزي الكفَّار بما كانوا يفعلونه في الدُّنيا بالمؤمنين؟... فالاستفهام جاء للتقرير، وبأنَّهم عوقبوا على ما بدر منهم من

---

(1) اللبدي، همزة الاستفهام في القرآن الكريم، ص237.

(2) ابن جني، الخصائص، ج2، ص465-466، عبد القادر حسين، فن البلاغة، دار الشؤون الثقافيَّة العامة، بغداد، ط4، مزيدة ومنقحة، 1990م، مشروع النشر العربي المشترك، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافيَّة العامة، ص143.

(3) عبد القادر حسين، فن البلاغة، ص143.

(4) فودة، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص226.

(5) مقبل، محمد محمود ضيف الله، بناء الجملة الفعليَّة في جزء عمَّ، رسالة ماجستير، إشراف سمير استيتيَّة، 2000م، ص71.

عمل طالح في دنياهم)[1]، ومنه أيضاً قوله تبارك وتعالى: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾[فاطر: 37]، فالاستفهام (تقريري للتهكُّم والتوبيخ، أي لقد عمَّرناكم مدّةً تذكر فيه من كان صالحاً للتذكر،... وتأتي قائمة التوبيخ والتقريع: (وجاء النذير)[2].

ومثله قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ قَالَ تَاللَّهِ أَنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِي وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾[الصافات: 54-59][3].

هذه الآية القرآنيَّة الكريمة جاءت على لسان أحد المؤمنين في الجنَّة، وقد اطَّلع فشاهد أحد الكفَّار أيام الدُّنيا، وهو في السعير كان ينكر البعث، والحساب فالاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة السابقة قد جاء: (تقريراً وتوبيخاً ردّاً على ما كان يردِّده الكافر في الدُّنيا، والذي ينكر، ويقرِّر هو المؤمن، فاليوم يومه، وله الكلمة العليا، وهذا الموقف كان تتمَّة لموقف دنيوي ينكر فيه الكفَّار البعث والنشور (أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) وقد ظلت الأحداث متوالية، أو مترقَة حتَّى أوضحت جزاء المنكر في الأخرى جمعاً بين الزبانية في أسلوب واحد على نحو معجز، ويرى الأستاذ فودة أنَّ التقرير هنا بمعنى طلب الاعتراف، والواقع أنَّ استفهامات المؤمنين في الجنَّة ليست على حقيقتها بل تساؤلات، ومناقلة للحديث، وتذكر لسالف أيام الدُّنيا كما يفعل الأصفياء في الحياة؛ ولأنَّ المعذَّب في شغل عن الرد بعذابه أنَّه في وسط الجحيم وقوداً لها وليس اعترافه ذا قيمة وصمته صمت من اشتملت عليه النَّار. أمّا قول أبي حيَّان بأنَّ استفهام المؤمن تنكيل، وتقريع، وتخزين[4] فالواضح أنَّه تخزين، وتنديم، وكأنّه لون من ألوان العذاب النفسي أمَّا التنكيل ونحوه من هذه المشاعر السوداء الداكنة الملتهبة فلا يمكن أن تنطوي عليها قلوب أهل الصفاء في الجنَّة بعد أنَّ قال الله: (ونزعنا ما في صدورهم من غل)[5]. وبقي أن نقول إنَّه من خلال: (النظر في آيات المعذبين – القيامة – وأحاديثهم في الحشر، والحساب والنَّار سواء وجِّهت للملائكة أم أهل الأعراف أم المؤمنين على الإطلاق أم أحاديثهم بعضهم مع بعض أم مع أنفسهم أم كانت حوار أو نداء أم أماني غاربة كل ذلك يصوِّر الضياع والذل والحسرة واليأس، والندامة، ولم يرد على ألسنتهم من أساليب الاستفهام إلاَّ ما يقرب من ثلاثة أمّا الباقي فجاء على ألوان من أساليب النداء، والتمنِّي، والندب، والحسرة كما

---

(1) عبد القادر، حسين، البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم، جزء عمَّ، ص59.

(2) عبد الرحمن، عوض محمد، تخاصم أهل النَّار، **تخاصم أهل النار**، دار البشير، القاهرة، مصر، ص185.

(3) أبو السعود، تفسير أبي السعود المسمَّى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج7، ص192، دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، ص230-231.

(4) الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص362، دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، ص231.

(5) دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، ص231.

كثرت الاستفهامات التقريريَّة على ألسنة الملائكة والمؤمنين إحقاقاً لحق ماطلوا فيه وازهاقاً واقعياً للباطل في يوم يذلُّ فيه الباطل وأهله)[1].

ويتواشج أسلوب الاستفهام الذي يدلُّ على التقرير مع غرض التنبيه، وجذب القارئ للحكم، وهذا ما يظهر بشكلٍ واضحٍ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا**﴾[الفرقان: 15].

ترد هذه الآية القرآنيَّة الكريمة في مقام خطابي مؤثر يضفي بقارئ الآية القرآنيَّة الكريمة إلى الانتباه، فأسلوب الاستفهام مرتبط بمسألة تكمن في الإجابة عنه أيهما أفضل النَّار التي يجسِّمها اسم الإشارة (ذلك) أم (الجنَّة)؟ وهذا سؤال الإجابة عنه مجهَّزة مسبقاً في كلِّ عقل إنساني إذ لا ينكر أحد أفضليَّة الجنَّة، ولا ينكر السمة المضادة لها، وهي النَّار، فلِمَ يؤتى هنا بالاستفهام؟.

إنَّ أسلوب الاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة السابقة قد انزاح عن موقعه في النظام اللغوي إلى غرض بلاغي لطيف يكمن في طلب إقرار، واعتراف السامع بالأفضليَّة، مع تنبيهه لذلك الذي يفترض أن يعمل له، والظاهر على الآية القرآنيَّة الكريمة أنَّها تضمَّنت أداتين للاستفهام (أ) و (أم)، لغرض دلالي واحد، وعندها تُسمَّى الهمزة همزة التسوية، وتكون أم متصلة؛ (لأنَّ ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر)[2].

فأسلوب الاستفهام الموحي بدلالة الإقرار، والتنبية على عدم تساوي الجزاءين، وإيضاح البين بين المآلين فيه لطيفة التهكُّم، والإزدراء بالكفَّار الذين غدوا بمرتبة لا يستطيعون فيها التفريق بين الخير والشر، فالمعنى جليٌّ في أنَّ الجنَّة هي الأفضل.

ومن هنا نعلم: (أم الواقعَة بعد همزة التسوية لا تستحق جواباً، لأنَّ المعنى معها ليس على الاستفهام... وليست تلك (أم) كذلك؛ لأنّ الاستفهام معها على حقيقته)[3].

نستنتج من ذلك أنَّ الجملة الاستفهاميَّة الثانية (أم جنَّة الخلد") هي التي تتضمَّن غرض الاستفهام المراد منه غرضي التقرير، والتنبية.

---

[1] اليوم الآخر في ظلال القرآن، الفصل الرابع، ص161–213، نقلاً عن دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة، ص249.

[2] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص61.

[3] المرجع السابق، ص61.

4. الاستفهام المتضمِّن معنى الترغيب، والترهيب:

ينهج القرآن الكريم في آيات الجنَّة والنَّار إلى استخدام أسلوب الاستفهام من أجل تحقيق غرضي الترغيب، والترهيب.

فالترغيب والترهيب – كما تقدَّم – من أجلِّ المضامين القرآنيَّة الكريمة في إثارة السامع، وتحفيزه إلى العمل المراد الذي يضفي به إلى الجنَّة، ويجنّبه النَّار، فالجنَّة والنَّار بسماتهما، ومشاهدهما تشكِّلان جوَّاً شعورياً، ونفسيَّاً لترغيب المؤمنين إلى الأعمال الصالحة التي توصلهم في النهاية إلى رضوان الله جلَّ جلاله، وترهيبهم أيضاً من الأعمال الطالحة التي ستلقي بهم في ظلمات الجحيم.

وأسلوب الترغيب والترهيب هنا يتواءم مع كون الجنَّة والنَّار من مسائل الغيب الإلهي، والمحسوس في التأثير أقوى، وأبلغ؛ لذلك لجأ القرآن الكريم إلى استخدام أسلوب الاستفهام لتحقيق هذا الغرض الجليل.

ولعلّ هذا يتجلَّى في قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[الصف: 10]، فالخطاب في الآية القرآنيَّة الكريمة للمؤمنين فيه تذكير لهم من خلال أسلوب النداء (يا أيُّها الذين آمنوا)، وهذا النداء يستوجب شيئاً مراداً، وهو نصح وإرشاد المؤمنين لأمر جليل، فهو السبيل إلى النجاة من عذاب الجحيم، وبالتالي دخول جنَّة الفردوس، وقد استخدم القرآن الكريم لتحقيق هذا المراد المنشود أسلوب الاستفهام (هل أدلكم)، إذ يخرج أسلوب الاستفهام هنا عن المعنى الأصلي إلى معنى بلاغي قيّم، وهو التشويق والترغيب[1]، والعرض، وهنا تتجدَّد الأفكار للأمر المستفهم عنه الذي تضفيه لفظة (أدلكم) أنَّه أمر مفقود، أو كالمفقود بسبب الانشغال عنه.

وقد ولَّد الخروج في أسلوب الاستفهام خروجاً آخر يستدعيه سياق النظم، يكمن في كلمة (تجارة)، وهي لوحة استعاريَّة تقوم على إيجاد مناخ نفسي ملائم لمكونات الإنسان الماديَّة (الجسديَّة) فالنفس الإنسانيَّة توَّاقة لأخبار التجارة، وصفقاتها، ومكاسبها، بيد أنَّها تجارة من نوع آخر هي تجارة إيمانيَّة تبيّن شروطها الآية الآتية حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[الصف: 11].

إذن تلك هي البضاعة؛ الإيمان والجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، وعندما يقوم الإنسان المؤمن بهذه الأعمال الإيمانيَّة يستحق عن جدارة جنَّة الفردوس كما توضّحها الآية القرآنيَّة الكريمة الآتية: ﴿**يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[الصف: 12].

---

[1] بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن الكريم، ص165.

وبهذا يصبح السياق الأسلوبي المزدوج على النحو الآتي:

هل أدلكم – استفهام يفيد الترغيب، والتشويق، والإثارة، والعرض.

تجارة – مجاز يفيد الترغيب، والتشويق، والإثارة.

والآية القرآنيَّة الكريمة الأخرى، التي يحقِّق فيها الاستفهام غرض الترغيب، والتشويق، والعرض قوله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[آل عمران: 15].

فقد جاءت الآية القرآنيَّة الكريمة في مقام المقارنة بين نعيمين؛ أوَّلهما دنيوي فانٍ، وقد ذكره القرآن الكريم في الآية القرآنيَّة الكريمة السابقة، بقوله تبارك وتعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النساء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[آل عمران: 14].

وثانيهما: خالد دائم، وهو نعيم الجنَّة بما فيها من نعيم مادي ذكرت الآية القرآنيَّة الكريمة منه الأنهار، والأزواج، ومن نعيم نفسي يكمن في رضوان الله تبارك وتعالى، وعندما كان المحسوس هو نعيم الدُّنيا الزائلة المدرك بالمشاهدة، أضفى ذلك إلى الركون إليه، والقعود عن طلب النعيم الخالد، فالمقصود إثبات، وترسيخ أفضليَّة النعيم الموعود به في الجنَّة، وتهميش صورة النعيم المادي الفاني؛ لذلك استخدم القرآن الكريم أسلوب الاستفهام من أجل ترغيب، وتشويق الناس إلى الخير الدائم، وقد تفرَّدت الجملة الاستفهاميَّة بالسمات الآتية:

1. وردت جملة الاستفهام مقولة القول (قل: أؤنبئكم) أي محكيَّة على لسان الصادق المصدوق، وكأنَّ هناك سؤالاً غائباً يلحظ من الإجابة عن أفضليَّة المصيرين.

2. يكمن الأسلوب اللغوي للاستفهام على النحو الآتي: قل (فعل أمر وفاعل) + أ (أداة استفهام) + أؤنبئكم (فعل مضارع وفاعل ومفعول به) + بخير (جار ومجرور) + من ذلكم (حرف جر + اسم إشارة مجرور) + باقي النص. واستخدام الهمزة للاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة دون غيرها له لطائفه في (كون الهمزة لا يستفهم بها حتَّى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه)[1]، وهو إثبات، وترسيخ أفضليَّة الجنَّة.

3. أتى أسلوب الاستفهام مركِّزاً على الفعل (أؤنبئكم)، وهو المقصود من الاستفهام هنا إذ إنَّ المعنى يدور حول ترغيب المتلقِّي من خلال إنبائه، وذلك لما تضفيه دلالة الكلمة (نبأ) على العظمة،

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن الكريم، ج2، ص361.

والتهويل، كما قال تبارك وتعالى في الحديث عن يوم القيامة: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾[النبأ: 1-2].

4. حقّق أسلوب الاستفهام غرض التشويق النفسي، والترغيب الروحي المستند على تحفيز الهمم، وإثارة النفس لمعرفة الأمر المشوق، وهو الجزاء الحسن.

وعلى النقيض من ذلك قوله تبارك وتعالى في الترهيب من النَّار: ﴿**قل أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ النَّار وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[الحج: 72].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغاشية، وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، تَصْلَى نارا حَامِيَّةً**﴾[الغاشية: 1-4]. فيشير عبد العليم فودة إلى أنَّ الاستفهام (بهل أتاك) قد أفاد: (التشويق إلى الحديث التالي، وأنَّه ممَّا يُهتَمُّ به، ويصغى إليه)[1].

ويضيف قائلاً إنَّ الاستفهام بالهمزة، وهل في الآيات القرآنيَّة الكريمة السابقة: (... قد أفاد إثارة النفس لما يتلوها من حديث تضمَّن وعداً أو وعيداً أو ذمَّاً)[2].

5- الاستفهام المتضمِّن معنى الاختبار:

ومن الأغراض البلاغيَّة التي تتضمَّنها جملة الاستفهام في آيات الجنَّة على وجه التحديد غرض الاختبار، وقد ورد هذا الغرض البلاغي في آيةٍ قرآنيَّةٍ كريمةٍ واحدةٍ ترتبط بالجزاء الحسن يوم القيامة، إذ يستخدم عندما (يكون السائل عالماً. ويريد امتحان المخاطبين واختبار معارفهم)[3]. ويظهر هذا في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾[النحل: 30].

فالاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة قد جاء موجَّهاً للمتقين. للحديث عن طبيعة الأجر، والثواب في القرآن الكريم فهم يعلمون ذلك، ويعرفون ماهية القول، ومضمون السؤال، ومن هذا المنطلق خرج أسلوب الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى أسلوبي يهدف إلى اختبار المؤمنين؛ ليبرز إيمانهم، ويعزّز منزلتهم، ويثبتهم على الحقّ.

أمَّا ما جاء في تفسيرها من: (أنَّ أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفَّه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا: أن لم تلقه كان خيراً لك، فيقول: أنا شرُّ وافد أن رجعت إلى قومي دون أن استطلع أمر محمد ﷺ وأراه، فيلقى أصحاب رسول الله ﷺ فيخبرونه

---

[1] فودة، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص237.

[2] المرجع السابق، ص236.

[3] المرجع السابق، ص193.

بصدقه، وأنَّه نبي مبعوث)[1]، فالاستفهام جاء على معناه الأصلي وهو طلب الفهم، والعلم بشيء غير معروف (مجهول) لدى السائل مسبقاً.

6- الاستفهام المتضمِّن معنى التفخيم، والتعظيم، والتهويل:

ومن أبلغ الأغراض الأسلوبيَّة التي يؤديها أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة، والنَّار التفخيم، والتهويل لأمر المؤمنين، والكفَّار، والتعظيم لحالهما، والأولى لهذا الغرض البلاغي أن يتقدَّم في الدراسة، والبحث على الأغراض الأخرى، غير أنَّ تأخيره هنا تعظيم، وتشويق له، وإثارة للسامع الكريم.

وقد جاء هذا الغرض البلاغي في آيات الجنَّة والنَّار بشكلٍ كبيرٍ، ومنه قوله تبارك وتعالى في الحديث عن أهل الجنَّة: ﴿**كَلا أَنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ**﴾[المطفِّفين: 18-20].

فالمستفهم عنه في الآيات القرآنيَّة الكريمة السابقة هو منزلة كتاب الأبرار (عليُّون) بما تتضمَّنه من المبالغة في العلو، وقد أتى الخطاب بأسلوب شائع في العربيَّة بشكلٍ عامٍ، وفي القرآن الكريم بشكلٍ خاصٍ، وهو أسلوب (ما أدراك)، ويبيّن عبد العليم فودة هذا بقوله: (وأسلوب (ما أدراك) يسبقه ذكر الاسم المراد تفخيمه ويعقبه الاستفهام عنه بـ (ما) دائماً متلوّة بهذا الاسم معاداً)[2]. وتفصيله في الآيات القرآنيَّة الكريمة على النحو الآتي:

لفي عليين + ما أدراك + ما + عليون.

الظاهر من هذا التركيب التعبيري لأسلوب الاستفهام بتكرار لفظة (عليُّون)، وهو تكرار يحقِّق معنى التعظيم، وتكرار اسم الاستفهام (ما) يفيد معنى الإعجاب، والتفخيم من هيئة كتابهم، ويتطرَّق صاحب الكشَّاف إلى ذلك بالقول: (وعليون علم لديوان الخير الذي دوَّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع (عليّ) فعيل من العلو كسجِّين من السجن؛ سُمِّي بذلك إمَّا لأنَّه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنَّة، وإمَّا لأنَّه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون، تكريماً له وتعظيماً)[3].

ومن آيات الجنَّة أيضاً التي يتجلَّى فيها الاستفهام الموحي بالتفخيم قوله جلَّ جلاله: ﴿**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾[الواقعة: 8]. فقد ورد الاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة لغرض بلاغي

---

[1] الزمخشري، الكشَّاف، ج2، ص579.

[2] فودة، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص129.

[3] الزمخشري، الكشَّاف، ج4، ص709.

يتضمَّن معنى تفخيم حال أصحاب الميمنة من جهة شأنهم، ومرتبتهم، وحالهم، ونعمهم إلى غير ذلك ممَّا يكمن في دلالة معنى التفخيم.

وخليقٌ بنا أن نشير إلى أنَّ القرآن الكريم قد استخدم أسلوب الاستفهام هذا في الحديث عن شأن الكفَّار فقال تبارك وتعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**﴾[الواقعة: 9]. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**كَلا أَنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ**﴾[المطفِّفين: 7-8]. وهنا تتجلَّى جماليَّة التعبير القرآني الكريم، وتفرُّده في الموقع، والموقف، والغرض، ولا يخال مقدِّماً أنَّ القرآن الكريم يهدف إلى تفخيم أمر الكفَّار، وكتابهم إنَّما المقصود: (التهويل الذي يراد به التخويف... حيث تأتي في معرض القيامة والنَّار...)[1].

ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هاوية، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ**﴾[القارعة: 8-9].

فقد خرج الاستفهام عن أصل وضعه اللغوي إلى غرض بلاغي يتمثَّل في: (تهويل الأمر وتفظيعه، فالنَّار خارجة عن كلِّ ما ألفه الناس وعرفوه، فهي نوع من النَّار لم يدركوه من قبل، ولم يسبق لهم أن اكتووا بلفح سعيرها قط)[2].

ومنه أيضاً تبارك وتعالى: ﴿**كَلا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ**﴾ الهمزة، 4-5، ومثله سورة المدَّثر، آية 27.

فقد جاء (هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتَّى كأنَّها شيء لا يخطر على البال، ولا تدركه الأفهام)[3]، وورد في شرح الرضي على الكافيَّة أنَّ (ما الاستفهاميَّة تفيد التفخيم)[4].

والآية القرآنيَّة الكريمة الأخيرة التي تتضمَّن غرض التفخيم قوله تبارك وتعالى في الحديث عن أصحاب اليمين: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ...**﴾[الواقعة: 27-28].

حيث تجيء الآية القرآنيَّة الكريمة في إطار الإخبار عن جزاء أصحاب اليمين، وتعداد نعمهم في الجنَّة، بيد أنَّ الآية القرآنيَّة الكريمة لم تقف عند الإخبار، إذ لو أُريد ذلك لقيل (وأصحاب اليمين في سدر مخضود...) دون الحاجة إلى توسُّط الاستفهام، إلاَّ أنَّ المقصود فوق معنى الإخبار، وهو الإيحاء بتفخيم شأنهم، وقد استخدم لذلك الاستفهام بالاسم الموحي بالإبهام (ما)، والمعنى أنَّ أمرهم

---

(1) فودة، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص130.

(2) عبد القادر حسين، البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم، جزء عمَّ، ص147.

(3) المرجع السابق، ص157.

(4) السامرائي، الجملة العربيَّة والمعنى، ص278.

من الفخامة، والرفعة في المكانة ما يَشْكُل تصويره على المتلقِّي فضلاً عن أنَّ (ما) وطَّئت الطريق للجواب المبيِّن غاية نعيمهم.

7- الاستفهام المتضمِّن معنى النفي:

ومن الأغراض البلاغيَّة التي يحقِّقها أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة، والنَّار غرض النفي، مع أنَّ العربيَّة تطَّلع بقدرة فائقة للتعبير عن النفي غير أنَّ مجيء أسلوب الاستفهام لإفادة النفي أبلغ تعبيراً، ووقعاً، وترك أسلوب القرآن الكريم استخدام النفي المباشر إلى استخدام النفي غير المباشر من خلال أسلوب الاستفهام يضفي إلى لطائف عميقة تكمن في أنَّ (السر في جمال أسلوب الاستفهام هنا، والعدول إليه عن أسلوب النفي هو أنَّ الاستفهام في أَصل وضعه يتطلَّب جواباً يحتاج إلى تفكير، يقع به هذا الجواب في موضعه، ولمَّا كان المسؤول يجيب بعد تفكير، ورويَّة عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملاً له على الإقرار بهذا النفي، وهو أفضل من النفي ابتداءً)[1].

وقد تمثَّل أسلوب الاستفهام الذي يحقِّق معنى النفي في ثلاث آيات قرآنيَّة كريمة من آيات الجنَّة والنَّار:

أولاهما: ما ورد في قوله تبارك وتعالى في الحديث عن أهل الجنَّة: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾[النساء: 122].

والظاهر أنَّ أسلوب التعقيب القرآني الكريم على جزاء المؤمنين قد أُنهي بأسلوب الاستفهام المتجلِّي في قوله تبارك وتعالى: (ومن أصدق من الله قيلاً؟).

فقد خرج الاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة عن غرض الإخبار إلى غرض النفي، والمقصود أنَّه لا أحد أصدق من الله قولاً، ويكمن في هذا النفي استبعاد لإمكان وجود أيٍّ كان أصدق من الله سبحانه وتعالى، ومساوٍ له في هذه السمة، خاصةً إذا كان الكلام المخبر عنه جليلاً، وهو جنَّة الفردوس التي تجري من تحتها الأنهار، وإذا كان ذلك كذلك فإنَّ أسلوب الاستفهام قد حقِّق معنى آخر، وهو غرض تعظيم الخالق الواحد، وفي هذا تشهير بالشيطان، ووعوده الكاذبة لأهل النَّار في الدُّنيا.

والآية القرآنيَّة الكريمة الثانية التي يحقِّق فيها الاستفهام غرض النفي قوله تبارك وتعالى في الحديث عن أهل النَّار: ﴿**فَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[النمل: 90].

---

[1] بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن الكريم، ص163.

فقد أفاد الاستفهام في الآية القرآنيَّة الكريمة السابقة معنى: (النفي والتخيير والشماتة والعدالة)[1].

أمَّا الآية القرآنيَّة الكريمة الأخيرة التي يحقّق فيها الاستفهام لطيفة النفي قوله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[التوبة: 111].

فقد جاءت الآية القرآنيَّة الكريمة في مقام مدح المجاهدين، والشهداء الذين بذلوا أموالهم، وأنفسهم رخيصة في سبيل الله سبحانه وتعالى، فأتى الوعد الإلهي بإدخالهم الجنَّة، وورد الخطاب القرآني الكريم هنا بالجملة الاسميَّة المؤكّدة لمضمون الحكم كي لا يتردَّد متردّد بالشكِّ في هذا الجزاء العظيم، ويشخِّص القرآن الكريم وعد الله سبحانه وتعالى لهم بالجنَّة في إطار استعاري يتمثَّل في البيع، والشراء (اشترى)، والتقدير: (مثَّل الله إثابتهم بالجنَّة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشروى، وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن)[2].

لهذا فهي صفقة مربحة، وهذه الصفقة تستلزم الوفاء، على ما عهد من أنظمة التجارة، ومعاملاتها، ومن أجل تأكيد الوفاء، وتعظيمه توسَّل القرآن الكريم باستخدام أسلوب الاستفهام المتضمِّن معنى النفي (ومن أوفى بعهده من الله)، حيث ورد بناء أسلوب الاستفهام على النحو الآتي:

من (اسم استفهام) + أوفى (اسم تفضيل) + بعهده (جار ومجرور) + من الله (جار ومجرور).

لذا جاءت الإجابة عن الاستفهام بالنفي أي لا أجد أوفى من الله سبحانه وتعالى، فإنَّ أسلوب الاستفهام أفاد غرضاً بلاغياً آخر يكمن في تعظيم الله جلَّ جلاله، وإن كان بعض الخلق قد وفَّى بعهده كالسموأل على سبيل المثال حتَّى قيل: أوفى من السموأل، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ مطلق، وقد وكَّد هذا الوعد بالوفاء من خلال المصدرين (وعداً) و (حقَّاً) زيادة في الإقرار، والتثبيت، والترسيخ.

ويسهم أسلوب الاستفهام مع أسلوب الأمر (استبشروا)؛ وذلك لأنَّ التضحية بالنفس والمال في ظاهرها فقدان بسبب الانقباض، والحزن المحسوسين في الوجه، وعندما كانت الصفقة مع الله عزَّ وجلَّ وجب أن يطمئن الإنسان المؤمن، فيتجلَّى أثر الاطمئنان، والنعمة على بشرته ووجهه فقال (استبشروا) اطمئناناً، وترسيخاً لأنفسهم بإنجاز الوعد.

وجملة الأمر أنَّ القرآن الكريم يستخدم أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار لأغراض بلاغيَّة متعدِّدة، وكثيرة، تضافرت جميعها لتشكِّل صورةً تعبيريَّةً لمضامين القرآن الكريم المتمثِّلة في قاعدة

[1] فودة، عبد العليم السيِّد، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، ص104.
[2] الزمخشري، الكشَّاف، ج2، ص302.

تقوم على منهج الترغيب والترهيب الذي يحقِّق الجزاء الأوفى للمؤمنين، والكفَّار، ويبيِّن هيئتهم، وحالهم، ونعيمهم، وعذابهم في الجنَّة والنَّار الخالدتين.

النتائج:

في نهاية هذه الدراسة الذي حاول إلقاء الضوء على بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار في القرآن الكريم، أقف وقفةً قصيرةً؛ لتلخيص، وسرد أهمّ ما يحتويه هذه الدراسة من نتائج، وتوصيات تكشف الستار عن القيم الجماليّة، والمقارنات الأسلوبيّة، والتعابير الدلاليّة لآيات الجنَّة والنَّار، فأقول بصدقٍ، وإخلاصٍ، وأمانةٍ، وبالله التوفيق، ومنه سبحانه وتعالى العون، والمساعدة، أنّه من خلال دراستي لموضوع: بلاغة أسلوب الاستفهام في آيات الجنَّة والنَّار، قد توصلت إلى نتائج مهمة.

1. أهميّة اتخاذ الموضوع القرآني الكريم طريقاً للدراسة الأسلوبيّة من دون النظر إلى الجزء، أو السورة المتحقّقة فيها، وهو من الموضوعات الطريفة في الدراسات القرآنيّة الكريمة.
2. الكشف عن أهميّة بلاغة أسلوب الاستفهام في تصوير مشاهد الجنَّة والنَّار الخالدتين، بما يحتويه من مزايا بلاغيّة، وسمات لغويّة، ودلالات معنويّة.
3. اقتصر استعمال الجمل الطلبيَّة في آيات الجنَّة، والنَّار على أسلوب الاستفهام بشكل كبير، الذي خرج عن أصل وضعه في العربية إلى أغراض، ومعانٍ بلاغيَّة مختلفة تلائم طبيعة الموقف الذي امتاز بالإنكار، والجحود، والعناد بالباطل، فجاء للتقرير، والتوبيخ، والتهديد، والتعظيم، والتهويل وغيرها.
4. يعزى سبب قلَّة استعمال الجمل الطلبيَّة في آيات الجنَّة، والنَّار وخاصة أسلوب الاستفهام إلى أنَّ الجنَّة والنَّار، عقيدة من عقائد الغيب الإلهي تستوجب الإخبار أن يتفيأ مساحة شاسعة من آياتها؛ لتحقِّق الفائدة المرجوة من إلقاء الخبر، وتظهر أغراضه، ومضامينه التي تدلُّ على الحفاوة، والتكريم، والتعظيم، والتفخيم، والتهويل؛
5. لجأ القرآن الكريم إلى استعمال أسلوب الاستفهام؛ لتحقيق أغراض أسلوبيَّة بلاغيَّة كان من أهمِّها غرض الإنكار، والتفخيم، والترغيب، والتشويق، والتقرير.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يلي:

1. دراسة الأساليب الإنشائية الطلبية، وغير الطلبية (الأمر، والنهي، والتمني، والمدح والذم، والقسم، والتعجب) في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم دراسة أسلوبية.
2. دراسة النظم القرآني في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم.
3. دراسة آيات الجنة والنار في القرآن الكريم من خلال مستويات اللغة المختلفة (الصوتية، والصرفية، والتركيب النحوي، والدلالي).
4. دراسة أسلوب الوصل والفصل في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم.
5. دراسة أسلوب التوكيد في آيات الجنة والنار في القرآن الكريم.

فهذه الموضوعات الطريفة التي تتحدَّث عن أسلوب القرآن الكريم في الإخبار عن قضايا غيبيَّة جديرة بالدراسة والبحث.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الجرجاني، عبد القاهر، **كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني**، وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه ناشره، محمد رشيد رضا، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ط6، 1380هـ-1960م.

2- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، خرَّج حديثه وقدَّم له وعلَّق عليه مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.

3- فوده، عبد العليم السيد، **أساليب الاستفهام في القرآن الكريم**، مؤسسة دار الشعب، القاهرة.

4- القزويني، محمد بن عبد الرحمن، كتاب شرح التلخيص في علوم البلاغة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزي، 1997م.

5- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار الفكر بيروت، دار صادر، بيروت، لبنان.

6- ابن هشام، أبو محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله المصري الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله راجعه سعيد الأفغاني، ط1، بيروت: دار الفكر، 1412هـ-1992م.

7- بدوي، أحمد أحمد، **من بلاغة القرآن الكريم**، دار نهضة مصر، الفجَّالة، القاهرة.

8- عرفة، عبد العزيز عبد المعطي، من بلاغة النظم العربي دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني، دار عالم الكتب، مصر، ط2، 1406هـ- 1984م.

9- نحله، محمود أحمد، **في البلاغة العربيَّة**، علم المعاني، دار المعرفة الجامعيَّة، القاهرة، مصر، 2002م.

10- الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد، **تفسير الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، رتَّبه وضبطه وصحَّحه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.

11- اللبدي، عبد الرؤوف سعد عبد الغني، **همزة الاستفهام في القرآن الكريم**، مطابع وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلاميَّة، 1992م.

12- علوان، محمد شعبان، ونعمان شعبان، من بلاغة القرآن الكريم، المعاني البيان البديع، الدار العربيَّة، للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط2، 1998م.

13- دراز، صباح عبيد، **الأساليب الإنشائيَّة وأسرارها البلاغيَّة في القرآن الكريم**، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ- 1986م.

14- الأندلسي، أبو حيَّان، أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، ابن حيَّان الأندلسي الغرناطي الجياني، **التفسير الكبير المسمَّى بالبحر المحيط**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1411هـ-1990م.

15- حسين عبد القادر، **البلاغة القيمة لآيات القرآن الكريم جزء عمَّ**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

- **فن البلاغة**، عالم الكتب، ط2، 1405هـ- 1984م.

16- ابن الريَّان، شرف الدين الحسين بن سليمان، **الروض الريَّان في أسئلة القرآن**، دراسة وتحقيق عبد الحليم بن محمد نصَّار السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1415هـ-1994م، السعوديَّة.

17- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **تفسير أبي السعود المسمَّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

18- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، **التفسير الكبير**، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ-1995م،

19- ابن جني، أبي الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافيَّة العامة، بغداد، ط4، مزيدة ومنقحة، 1990م، مشروع النشر العربي المشترك، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافيَّة العامة.

20- المقبل، محمد محمود ضيف الله، **بناء الجملة الفعليَّة في جزء عمَّ**، رسالة ماجستير، إشراف سمير استيتيَّة، 2000م.

21- عوض، محمد عبد الرحمن، **تخاصم أهل النار**، دار البشير، القاهرة، مصر.

22- السامرائي، فاضل صالح، **الجملة العربيَّة والمعنى**، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.